لغة الجرائد

تقدم لنا في الجزء الاول من هذه المجلة كلامٌ في بيان موضع الجرائد من الامة وما لها من التأثير في مداركها واذواقها وآدابها ولغتها وسائر ملكاتها ولا سيما مع كثرتها وانتشارها في عهدنا الحالي حتى اصبحت بحيث تصدر الالوف منها كل يومٍ وتوزَّع بين ايدي القرّآء فيتناول كل قارىءٍ منها على حسب وسعهِ واستعدادهِ . وليس من ينكر ان ذلك كان سبباً في انتشار صناعة القلم عندنا وتدريب الكتّاب على اساليب الانشآء واقتباسهم صُوَر التراكيب المختلفة واحيآء كثيرٍ من اللهجة الفصحى حتى بين عامة الكتّاب مما آذن بانتعاش اللغة من كبوتها واحيا الآمال في عودها الى قديم رونقها . بل اذا تفقدت الجرائد انفسها وجدتها قد انتقلت الى طورٍ جديد من الفصاحة وجزالة التعبير كما تتبين ذلك من المقابلة بين حال الكثير من جرائدنا اليوم وما كانت عليهِ عامة الجرائد منذ نحو عشر سنواتٍ او دونها والفضل في ذلك ولا شك عائدٌ الى هذه الكثرة نفسها بما نشأ عنها من المباراة بين الاقلام وازدحام القرائح في حلبات السبق فضلاً عما تهيأ بها من انتشار اسلوب الفصاحة ورسوخ ملكة الانشآء

بيد اننا مع ذلك كلهِ لا نزال نرى في بعض جرائدنا الفاظاً قد شذت عن منقول اللغة فأُنزلت في غير منازلها او استُعملت في غير معناها فجاءت بها العبارة مشوّهةً وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلاً عما يترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطآء . ولا سيما اذا وقع في كلام

من يوثق بهِ فتتناولهُ الاقلام بغير بحثٍ ولا نكير . ولا يخفى ان الغلط في اللغة اقبح من اللحن في الاعراب وابعد عن مظانّ التصحيح لرجوعها الى النقل دون القياس فيكون الغلط فيها اسرع تفشياً واشدّ استدراجاً للسقوط في دركات الوهم . والعجب هنا انك كثيراً ما ترى اناساً من متقدمي الكتّاب وذوي القدم الراسخة في اللغة والانشآء يعتمدون احياناً على التقليد وربما قلدوا من هو دونهم من اصاغر اهل الصناعة حتى فشا النقل بين تلك الطبقات كلها واصبح كثيرٌ من الفاظ الجرائد لغةً خاصةً بها تقتضي معجماً بحالهِ . ولما كان الاستمرار على ذلك مما يُخاف منهُ ان تفسد اللغة بايدي انصارها والموكول اليهم امر اصلاحها وهو الفساد الذي لا صلاح بعدهُ رأينا أن نفرد لذلك هذا الفصل نذكر فيهِ اكثر تلك الالفاظ تداولاً وننبه على ما فيها مع بيان وجه صحتها من نصوص اللغة وفي يقيننا ان رصفآءنا الافاضل يتلقون ذلك منا خدمة اخلاص لهم لا نقصد بها الا المحافظة على اللغة وصيانة اقلامهم من مثل هذه الشوائب مع كفايتهم مؤونة البحث والتنقيب في كتب اللغة على ما هو معلومٌ من وعورة مسلكها وشكاسة ترتيبها مما كان ولا شك هو السبب في تجافيهم عن مراجعتها واستثبات صحة تلك الالفاظ منها والله نسأل ان يوردنا جميعاً موارد الصواب بفضلهِ عز وجل وحسن تسديدهِ

فمن تلك الالفاظ لفظة التحوير التي لم يبقَ كاتب جريدةٍ ولا مؤلف كتاب الا وردت في كلامهِ مئات من المرار يريدون بها معنى التنقيح والتعديل والتهذيب وما جرى هذا المجرى وذلك في الكلام على الشروط

والمعاهدات والاحكام واشباهها . ولم ترد هذه اللفظة في شيء من كتب اللغة بمعنى من هذه المعاني انما التحوير في اللغة بمعنى التبييض يقال حوَّر الثوب اذا قصرهُ وبيضهُ ومنهُ الحُوَّارَى للدقيق الابيض وهو لباب البُرّ واجودهُ واخلصهُ وقد حوَّر الدقيق اذا بيضهُ وغالب الفاظ هذه المادة يرجع الى معنى البياض فما ضرّ لو استعملوا في مكان هذه اللفظة احدى الكلمات التي ذكرناها في مرادفها

ومن ذلك قولهم تقدم اليهِ بكذا يعنون رغب اليهِ فيهِ وسألهُ قضاءَهُ وانما يقال تقدم اليهِ بمعنى اوعز اليهِ وأمرهُ تقول تقدم الامير الى عاملهِ ان يفعل كذا وكذا فهو على عكس المعنى الذي يريدونهُ كما ترى

ومن ذلك قولهم شكر لهُ على احسانهِ وشكر لاحسانهِ وشكر لهُ لاحسانهِ صورٌ لا تكاد تتعداها كتابات الاكثرين وكلها حائدةٌ عن الصواب . قال في تاج العروس شكرهُ وشكر لهُ .. وشكرت الله وشكرت لله وشكرت بالله وكذلك شكرت نعمة الله وشكرت بها وفي البصائر للمصنف .. يقال شكرتهُ وشكرت لهُ وباللام افصح . اه . وفي لسان العرب قريبٌ منهُ وهو لا يخلو من ابهامٍ وقصور واحسن منهُ واوضح تفصيلاً ما جاء في الاساس قال شكرت لله نعمتهُ واشكروا لي وقد يقال شكرت فلاناً يريدون نعمة فلان .. اه . فعُلم من صريح عبارتهِ ان الشكر يعدَّى الى المشكور لهُ اي المنعم باللام والى المشكور بهِ اي النعمة بنفسهِ تقول شكرت لزيدٍ صنيعتهُ بجر الاول ونصب الثاني وهو الاشهر في اصل استعمال هذا الحرف ثم يجوز لك ان تحذف احد المتعلقين فتقول شكرت

لزيد وشكرت صنيعة زيد ويجوز ان تقول شكرت زيداً على تقدير مضاف محذوف اي صنيعة زيد. واما تعديتهُ الى المشكور بهِ بعلى فيجوز على تضمين الشكر معنى الحمد وحينئذٍ تمتنع اللام فتقول شكرتهُ على احسانهِ كما تقول حمدتهُ على احسانهِ للمطابقة بين الاستعمالين . فتأمل

ومن ذلك قول بعضهم مزّق الكتاب اربا اربا وقطّع الحبل اربا اربا اي قطعةً قطعةً واكثرهم يقرأها أَرَبًا أَرَبًا بفتحتين وليس شيءٌ من ذلك بصواب انما يقال قطّعت الذبيحة إِرْبًا إِرْبًا بكسر الهمزة وسكون الرآء اي إربا فإِربا ومعنى الإِرب العضو فهو خاصٌّ بما لهُ اعضآء ولا يجوز استعمالهُ للكتاب والحبل وامثالهما . واما الأَرَب بفتحتين فمعناهُ الحاجة

ومن ذلك قولهم خرج فلانٌ عصارى يوم كذا يريدون وقت العصر واكثر ما سُمعت اللفظة في قرآءتهم بضم العين وفتح الرآء على مثال قُصارَى وخُزامَى ولا وجود لهذه اللفظة في كتب اللغة ولعل اول من قالها اراد ان تكون بفتح العين وكسر الرآء وتشديد اليآء كانها جمع عصرية من قول العامة جئتهُ عصرية النهار كما يقولون جئتهُ صبحية وظهرية وكل ذلك لم يرد شيءٌ منهُ في استعمال العرب

ومن ذلك قولهم اوجبني الى كذا اي الجأني اليهِ واضطرّني وانما يقال اوجبت الامر ولا يقال اوجبت الرجل فالصواب اوجب عليَّ كذا

ومثلهُ قولهم اعلنت فلاناً بالامر على حدّ اعلمتهُ بهِ مثلاً وانما يقال اعلنت الامر وبالامر اي اظهرتهُ وقد اعلنتهُ لفلان كما تقول اظهرتهُ لهُ ويقال ايضاً اعلنتهُ اليهِ كما يؤخذ من عبارة لسان العرب

ومن ذلك قولهم تولج فلانٌ الامر اي تولاهُ وما نحسبهم الا ارادوا هذا اللفظ الاخير بعينهِ اي لفظ تولاهُ فأبدلوا من الفهِ جيماً وهو من غريب التحريف . فاما تولج فمعناهُ دخل مثل ولج المجرّد

ويقولون اشار عليهِ بكذا فانصاع لمشورتهِ يعنون انقاد واطاع ولا وجود لذلك في اللغة لكن يقال انصاع الرجل اذا انفتل راجعاً مسرعاً وفي الاساس انصاع القوم اذا مرّوا سراعاً وفي اللسان صاع الشيء يصوعهُ صوعاً فانصاع اي فرّقهُ فتفرّق لم يجئ في هذا الحرف غير ذلك (ستأتي البقية)

وجوب العقوبات

لحضرة الكاتب الاريب نجيب افندي الشوشاني

طُبع الانسان ميالاً الى الشرّ مسترسلاً الى اهوآئهِ واغراضهِ يطمع في مقتنيات غيرهِ ويحسدهُ على ما بين يديهِ بل يروم الاستئثار بكل امر يراهُ خيراً لنفسهِ ويودّ لو يكون العالم باسرهِ ملكاً لهُ يتصرف فيهِ كيفما شآء . وفي الانسان من مثل هذه الصفات الغريزية وغيرها ما يدفعهُ الى ارتكاب الشر واقتراف الضرّ فقد رُكب فيهِ الميل الى الاعتدآء والاغتصاب والبغي والجور والتحرش ومن طباعهِ التنازع والتباغض والحقد والانتقام والخيانة واللؤم والغدر والاحتيال والمكر ذو فطرة وحشية وطبيعة مجبولة على الفتك يثور على اخيهِ فيقتلهُ بريئاً ويحمل على مناوئهِ فيطرب لصوت النزع في صدرهِ وقد عُرف بانهُ اشد شراسةً من السباع الضارية واصلب قلباً من الحجارة القاسية اذا اراد ارتكاب شرٍ فقلّما يرتدّ من طبيعتهِ عنهُ او يكون لهُ

من نفسهِ وازع يمنعهُ منهُ .

ومع ذلك فقد خُلق الانسان اليفاً مدنياً بالطبع ميالاً الى الاجتماع فقد كان في اول امرهِ منفرداً ضارباً في مجاهل الأرض ثم تحيّز فرقاً او جماعات وما زال يتسع نطاق اجتماعهِ ويمتد ذلك في الحضارة والمدنية الى ان اصبح على ما نراهُ فيهِ اليوم من تخطيط المدائن الواسعة وتأليف الممالك العظيمة وتقريب الابعاد وتيسير المواصلات وتفننهِ في ضروب العمران وجعل جمعيتهِ البشرية مشتبكة الروابط مشتدة الاواصر كالسلسلة الواحدة اذا انفكت حلقة من حلقاتها احدثت خللاً في سائر هذا المجموع

وأول ما خطر للانسان عند ما اقبل على الاجتماع بل أوّل ما اضطرّ اليهِ قياماً بالغرض الذي اجتمع لاجلهِ من حيث التعاون على اصلاح حالهِ والذود عن حياتهِ ومتاعهِ ان يكون لاجتماعهِ نظام يؤلف بين افرادهِ فيصون الحقوق العامة ويحفظ الصلات ويمنع التعديات فنشأت من ذلك السلطة ووجدت الزعامات فالمشيخات فالرئاسات فالحكومات وبذلك النظام استطاع الانسان ان ينتقل من طور الى طور ويزداد امتداداً في الاجتماع وبسطةً في العمران وكان النظام يتقدم بتقدمهِ ويسير متبعاً ضرورات كل جيل من الناس وكل عصر من العصور

لا جرم ان هذا النظام هو الذي ضبط الانسان وهو على ما عرفناهُ بهِ من شرّية الخلق عن ان يظل مندفعاً في غمرات اميالهِ الوحشية يفعل ما تزينهُ لهُ الاهوآء وتندفع اليهِ الاطماع مما يستحيل معهُ حصول الاجتماع ولا يتيسر الوصول الى الغاية المقصودة منهُ وقد جعل لهُ حدّاً لا يتعدّاهُ

وضرب عليهِ العقاب اذا هو حاد عن السبيل الذي اختطهُ لهُ ليجري عليهِ وبذلك استتبّ قيام ذلك النظام وتوصل المجتمع الى الحصول على الفائدة التي وُضع لاجلها . وذلك ان الشرائع تمنع القتل ولكن هذا المنع لم يكن كافياً لان يمتنع الانسان عنهُ لو لم يكن يعلم ان القاتل يُقتل او انه يُزجّ في سجن مؤبد يذوق فيهِ العذاب الواناً ويفضل الموت فيهِ على الحياة . وكذلك الشرائع تمنع ان يضرّ الواحد بالآخر وان يتعرض للحقوق العامة ولكن من كان يأبه لذلك لو لم يكن من ساعد الاحكام المتين ما يقبض بشدة عليهِ ويقتصّ منهُ على ما جناهُ . وانظر الى الاديان فان اكثرها قد قدّمت العقاب على الثواب وانما الغرض من ذلك ادخال الرهبة على النفوس حفظاً لتلك السنة وحملاً للناس على العمل بما تقتضيهِ

فقد ثبت مما تقدم ان النظام لا بد منهُ لحفظ كيان هذا المجتمع كما أن العقاب لا بد منهُ لحفظ كيان هذا النظام وقد اجمع على ذلك المتشرعون عامةً الا ان منهم من مستهم الرأفة بالمجرم فرأوا استبدال العقاب بالغرامة المالية والقَوَد بالسجن وما اشبه ذلك ميلاً الى الرفق بالانسان ولهم في ذلك مباحث طويلة نقتصر على ذكر اهمها بالايجاز مراعاة للمقام

ومعلومٌ ان العقاب مترتبٌ على الجرم من حيث كونهُ اي الجرم فعلاً مخالفاً لما يأمر بهِ النظام او ينهى عنهُ فيكون نظام العقوبات اذن هو مجتمع القواعد التي تجعل الحق العام يقتصّ من المجرم وعليهِ فالعقاب يكون العمل بما نصت عليهِ هذه القواعد وغايتهُ الاصلية النفع العام وهو انما يكون فيما لا يدخل تحت ملك مالك كحياة الانسان وحريتهِ بعكس الحكم الذي

يصدر مثلاً باعادة حقٍ مغتصَب او تحصيل حقٍ ضائع او تعويض الضرر بالمال مما هو معروف بالحقوق الشخصية فان ذلك ينحصر فيما يجوز للانسان ان يمتلكهُ ويكون غايتهُ النفع الخاص . وأهمّ ما يؤخذ من اقوالهم في هذا البحث ينحصر في ثلاثة اقسام . الاول ـ وجوب العقاب من حيث العدالة ـ وقد تولد عن هذا المبدا مذهبٌ عُرِف بالعدالة المطلقة او التكفير عن الذنوب ومرجع هذا المذهب الى الاعتقاد بان السلطة من عند الله وان الملك ظل الله على الارض وان حق العقاب الذي لهُ انما هو حق صائرٌ اليهِ من هذه العدالة المطلقة . غير ان اصحاب الآرآء الحديثة لا يسلمون بذلك بل يقولون ان حق العقاب انما هو مختص بالامة التي تقوم بهِ بواسطة نوابها فان السلطة المشترعة تضع النظامات للعقوبة والسلطة الاجرآئية تقوم بتنفيذها وعندهم ان بين العدالة الالهية والعدالة البشرية بوناً شاسعاً فالاولى تصفح عن المذنب والثانية لا تستطيع الاّ ان تعاقبهُ عبرةً لسواهُ ولو ندم على ما فعل . ومن هذا وغيرهِ مما لا حاجة بنا الى ذكرهِ يستنتجون ان العدالة البشرية في وجوب العقاب ليست براجعةٍ الى مذهب العدالة المطلقة وان العقاب على الجانين واجبٌ لان الله سبحانهُ لا يأذن في اعتدآء الواحد على الآخر وقد نهى عن القتل وارتكاب المحارم وقضى بمعاقبة المعتدي . والانسان اذا عاقب المجرم دفاعاً عن كل فردٍ من افرادهِ وصيانةً للنظام العام لا يكون قد ظلم بل انصف وعدل وعليهِ فالعقاب يكون واجباً عدلاً

الثاني ـ وجوب العقاب من حيث النفع ـ واول المذاهب فيهِ المعروف بمذهب الرابطة الاجتماعية واشهر من قام بهِ بكاريه وجان جاك روسو وقد

ايّدهُ بعض الخطبآء ايام اشتغال فرنسا بوضع النظامات وتسطيرها . واساس هذا المذهب عند اصحابهِ ان البشر في حالتهم الطبيعية كانوا يعيشون منفردين ثم اقبلوا على الاجتماع بغاية النفع واذ ذاك وجدت الرابطة الاجتماعية التي انشأت حق العقاب . وجعل بعضهم حق العقاب من جهة ان الفرد من البشر قد ترك للجمعية البشرية التي هو عضو من اعضآئها حق الدفاع عن نفسهِ وهذه القاعدة تعرف بالدفاع المستقيم . وذهب آخرون الى ان النظام لما كان ضرورياً لقوام الاجتماع فقد قبل الانسان من تلقآء نفسهِ ان يُعاقَب اذا خالف سنن ذلك النظام وهذه القاعدة تعرف بقبول توزيع العقاب . الا ان اكثرهم حصر وجوب العقاب في لفظة النفع مجرّدةً لان المجرمين اعدآء للمجتمع باسرهِ وايّ نفع بل اية ضرورةٍ اشد من تجريد امثال هؤلآء الاعدآء من اسلحتهم ووضعهم في حيّز لا يتعدونهُ ومعاقبتهم على ما اجترموهُ

وذهب الفلاسفة الوضعيون الى قاعدة الدفاع الغير المستقيم قالوا ان الانسان من حيث الحقوق الطبيعية لهُ حق الدفاع عن نفسهِ بنفسهِ ولما كان المجتمع البشري ليس سوى الانسان معنوياً كان من حقهِ نفس ذلك الدفاع الذي من مقتضاهُ معاقبة المجرم. وذلك ان الخطر الذي يلحق بالمجتمع عن حدوث الجناية وان اختلف عن مثلهِ في الفرد من افرادها اذ هو في الفرد لا يتجاوز ايقاع الاذى بهِ لكنهُ يتجاوز ذلك في جسم المجتمع بحصول ما يتولد عنهُ من الاقتدآء ولذلك فان المجتمع باجرآء العقاب على الجناية الواقعة يكون قد دفع عن نفسهِ وقوع الجنايات في المستقبل ولا يكون قد

قيّد حرية الانسان الاّ بما يقتضيه حسن النظام العام وحينئذٍ فلا يكون منشؤهُ ومرجعهُ الاّ النفع

الثالث ـ وجوب العقاب من حيث اعتبار الامة بمنزلة جمعيةٍ دستورية ـ وقد لبثت هذه الشعلة كامنة في بطون الادهار الى ان ابرزت نارها الثورة الفرنسوية اذ اعلنت حقوق الانسان في السادس والعشرين من شهر آب سنة ١٧٨٩ ومنذ ذلك الحين بوشر وضع نظام خاص بالعقوبات وأُبطل الكثير من العقوبات المتبعة في الازمان الغابرة ثم أُعيد البعض منها اضطرارًا فكانت فرنسا البادئة بذلك ثم تلتها اكثر الحكومات المتمدنة . اما انكلترا وروسيا فلبثتا بمعزلٍ عن ادخال هذا الاصلاح في النظامات ولم تنشطا اليهِ الا منذ عهدٍ غير بعيد فاخذتا في تنقيح نظام العقوبات ولعلنا لا نلبث طويلاً حتى نرى الوحدة بين الحكومات في مواد العقاب وان اختلفت في بعض وجوههِ مما يساعد على تعميم المعاهدات المختصة بتسليم المجرم الذي يلجأ الى غير بلادهِ ويزيد الانسان بعداً عن ارتكاب الجرائم وتغلباً بالانسانية والمدنية على فطرتهِ الحيوانية

على ان تقرير وجوب المجازاة يقودنا الى البحث عن خصائص العقاب وكيفياتهِ بحيث يكون منطبقاً على النفع المقصود منهُ في صيانة النظام العام والعقاب انما يكون مستحسناً اذا اجتمعت فيهِ الصفات الآتية . واولها ـ ان يكون العقاب مثالياً ـ اي ان يكون على القدر الواجب من الشدة وان يكون اجراؤهُ علناً بحيث تكون معاقبة المجرم مثالاً وعبرةً لسواهُ

ثانيها ـ ان يكون اصلاحياً ـ وتحصل هذه الخاصيّة في العقاب اذا كان

من طبيعتهِ ان يحدث في المحكوم عليهِ تأثيراً زاجراً في المستقبل

ثالثها ـ ان يكون مشروعاً ـ اي ان يكون منصوصاً عليهِ في النظامات فان اكثر العقوبات في الزمن الغابر كان الحكام يقضون فيها بحسب ما يرتأون فتصدر الاحكام في الغالب جائرة غاشمة تثور لها الخواطر وتبعد عن ان تكون حافظة لنظام المجتمع وكافلةً بتنقيص الجرائم

رابعها ـ ان يكون شخصياً ـ اي ان يكون العقاب منحصراً في شخص المجرم ولا يتعداهُ وقد كان من قبل يحكم بالعقاب على المجرم وذويهِ . ومن ثم الغت الحكومة الفرنسوية سنة ١٨١٤ المصادرة على اموال المجرم اذ يمتدّ ذلك الى ورثتهِ ولا يكون منحصراً فيهِ

خامسها ـ ان تراعى المساواة في العقاب ـ وذلك بان يكون لكل جرم بعينهِ عقوبة بعينها من غير نظر الى تفاوت مراتب المجرمين . ولا يقتصر هذا على رعاية المساواة في الحكم بالعقاب بل يشمل المساواة في طريقة تنفيذهِ وقد كانت شرائع الرومانيين تقضي بقطع رأس المحكوم عليهِ بالموت اذا كان من اصحاب الطبقة العالية وبصلبهِ اذا كان من العامة وكذلك في فرنسا كان يقضى على الطبقة الاولى بقطع الرأس وعلى الثانية بالشنق اما اليوم فالمجرمون لدى العقاب وتنفيذهِ بالسوآء

سادسها ـ ان ينجم عن العقاب منافع ادبية ـ وذلك بان لا تكون العقوبات قاتلة لعواطف المجرم الانسانية بل تثبتها في نفسهِ وترجع اليهِ ما يكون قد فقدهُ منها والا كانت سبباً لأن تصيّر المجرم شرًّا مما كان عليهِ وقد تقرر ان العذابات البدنية تنزل بالمجرم الى حضيض الطبيعة الحيوانية

ولا تزيدهُ الا اقتحاماً للشرور وقد أُبطلت امثال هذه العقوبات في كل صقع اضآءت فيهِ شمس العلم والعدل

ومعلوم ان العقوبات على انواع والاعدام يخرج عن بعض الخصائص المذكورة كما ترى وليس من حاجة الى بيان خطورتهِ وحرج مقامهِ بين سائر انواع العقوبات ولذلك افردوا لهُ باباً مخصوصاً وسموهُ « بالعقاب الرئيسي» واشد ما كان الجدال فيهِ بين المشترعين والفلاسفة والكتاب فمنهم من سلب ومنهم من اوجب الا ان النظامات اثبتتهُ جرياً على القاعدة العامة القاضية بوجوب اجرآء العقاب والقيام بهِ

وقد يستغرب المرء لاوّل وهلةٍ عند ما يرى ان النظام الذي يمنع القتل هو نفسهُ يقضي بهِ ومن يشاهد اعدام مجرمٍ لديهِ ولا ترتعد فرائصهُ وتنقبض نفسهُ اذ يرى آلة القتل منتصبة صامتةً فاغرةً فاها لتبتلع روحاً وتنتزع من جسدٍ حياةً ويرى المجرم مسُوقاً كالحيوان الى الذبح لا يستطيع عن نفسهِ دفاعاً وليس في طاقتهِ التخلص ولا النجاة ويرى هذه الآلة الهائلة قد اطبقت على رجلٍ نظيرهِ فغادرتهُ جثةً هامدة. ولا يزال الانسان غير منتبه الى هول الاعدام ما لم يعاين وقوعهُ لديهِ او ان يقف متأملاً احدى تلك الآلات المعدّة لذلك العقاب

على ان من اعمل الفكرة في الاسباب التي حملت النظام على ان يجزم بوجوب العقاب وبالتالي بوجوب الاعدام وعلم ان الضرورة تقضي بهِ حفظاً للنظام ودفاعاً عن كل فرد من افراد مجتمع الانسان وان الحاكم لا يقضي بهِ انتقاماً ولا اختياراً وان الحكومات لا تجريهِ الاّ بعد التدبر

والتثبت الشديدين وان الكثير من الشعوب والقبائل لا يستقيم بينهم حكمٌ ولا تكبح اعنة اشرارهم الا بوضع السيف في موضعهِ يذهب عنهُ ما استغربهُ من تناقض النظام بمنع القتل والقضآء بهِ ويثبت لديهِ وجوب القيام بالامرين على السوآء

ومن يشاهد يا ترى قتل نفسٍ بريئة لديهِ ويرى ان هذا الانسان الذي هو نظيرهُ والذي كان منذ طرفة عينٍ صحيح الجسم مشبعاً حياةً يتمتع بما انعم الله بهِ عليهِ من الوجود وخيرات هذه الارض وقد كان قرّة عين ذويهِ وعضواً عاملاً بين افراد المجتمع قد سطت عليهِ يدٌ اثيمة مغتالة فالقتهُ صريعاً يختبط بدمهِ ويبحث التراب بيديهِ وقد حُرم ظلماً ملذات الحياة وأُعدم من غير حق ولا سابق جناية ففارق والدين أو اخوة او زوجة او بنين واقارب واحباباً وكل هؤلآء تتفطر منهم المرائر وتتصدع القلوب . بل من يعاين وقوع مثل هذه الجريمة الهائلة او يسمع بها وقد علم ان ذاك القاتل اللئيم لم يحمل على هذه النفس البريئة الا بقصد اكتساب شيء من المال او لان القتيل على غير معتقدهِ او من غير جنسيتهِ او لان مقامهُ ارفع من مقامهِ او لبعض المقاصد السافلة ولا يجيش في صدرهِ حب الانتقام ويستحل دم القاتل اذا قام النظام باعدامهِ والاقتصاص منهُ عما فعل

وقد نظرت اكثر الحكومات في هذا الامر الخطير ووضعتهُ موضع الامتحان فابدلتهُ فرنسا ضمناً بالسجن والنفي وما يصحبهما ولم تلبث ان عادت اليهِ وابطلتهُ الحكومة البلجيكية نحو خمس من السنين فتبين لها من الاحصآءات ان مقدار الجرائم قد ازداد عن مثل معدلهِ من قبل فرجعت

بشدة اليهِ وكلنا يذكر ما فعلتهُ من عهدٍ غير بعيد اذ اعدمت جماعةً من الفوضويين دفعةً واحدة وكان ذلك من احسن العبر . ولنا فيما جرت عليهِ اكثر الممالك من وجوب معاملة هذه الجماعة باشد ما يكون من العنف والقسوة وان لا يعاقبوا الاَّ بالاعدام اعظم دليل واسطع برهان على ان لا غنى للحكومات عنهُ وانهُ خير ما يعوَّل عليهِ في ردع الاشرار وان لنا في القصاص حياةً وان القتل انفى للقتل وانهُ واجب وجوب سائر العقوبات . انتهى

خواطر مستطرفة

في الموسيقى

لحضرة الاديب المتفنن نقولا افندي الحداد

(تابع لما في الجزء السابع)

— ٤ —

اما تأثير الموسيقى في الحواس الباطنة فشديدٌ قد لا يفوقهُ الا تأثير البشارة بالسعادة الفجائية او الانذار بمصابٍ عاجل ولا شيءَ يجتذب الانتباه عادةً مثل سماع الالحان مهما كان الانسان منهمكاً في غيرها من الامور . ولا ريب ان المطرب المعجب يلعب بعواطف السامعين كما يلعب بسبحتهِ فيحزنهم ويفرحهم ويشوّقهم ويحببهم بعوامل تطريبهِ وذلك لان المرء بعواطفهِ والعواطف تخضع لفعل التطريب خضوعاً غريباً فكما تحرك العواطف يظهر المرء ولذلك يستخدمون الموسيقى في الجيش لانها تحمس الجنود وتحملهم على الاستبسال في ساحات القتال وتذكرهم بحب الاوطان

وتسليهم في الغربة وتعزيهم في الضيق والذي يعلم ما تؤثرهُ الأُغنية المعروفة بالمرسلياز في الفرنسويين من الحماسة والتفـاني في حب الوطن لا يخامرهُ ادنى ريب في هذا القول

وتستعمل الموسيقى في اقامة الطقوس الدينية لانهـا توجه النفوس الى العلآء ويتوصل بها الى ارضآء الله تعـالى ٠ وكانت في القديم ركناً مهماً من اركان الطقوس ولهذا نظم بعض انبيآء اليهود اسفارهم اشعاراً ليُترنم بها وأُلفت الاجواق الموسيقية في معابدهم وكان النسآء ولا سيما بنات اللاويين يتعاطينَ الغنآء كالرجال في الهيكل والاحتفـالات الدينية وكانت مواكبهم تسير على وقع الموسيقى فقد ذكر في التوراة ان داود اصعد تابوت الرب من قرية يعاريم الى اورشليم باغانيَّ وعيدان وربابات ودفوف وصنوج وابواق وفي شخوصهم الى اورشليم في الاعياد الثلاثة كانت الموسيقى ترافقهم في الذهاب والاياب ولا تزال الموسيقى حتى وقتنا الحاضر تستعمل في اكثر المعابد وفي بعضها يقتصر على الترنيم والانشاد

وقد رأى الاطبـآء ان يداووا بعض الادوآء العصبية بالموسيقى ففي اميركا تستعمل الموسيقى في البيمارستانات لابرآء المجانين . ويروى انهُ انتشر مرةً في ايطاليا نوعٌ من الامراض العصبية فكان الموسيقيون يجولون بآلات طربهم من مكانٍ الى آخر بغية شفآء المرضى فشفي كثيرون . وليست هذه المعالجة حديثة فقد ذُكر في التوراة ان داود كان يسكّن روح شاول بالعزف على العود

اما تأثير الموسيقى في الاخلاق والعوائد فامرٌ لا ريب فيهِ وقد رُوي

عن فلاسفة اليونان ان البلاد التي انتشرت فيها الموسيقى كانت طباع اهلها ارقّ والطف من غيرها واقلّ فظائع . وكان القدماء يغالون في تأثير الموسيقى حتى نسبوا الى فعلها قوّة خارقة فمما يروى في خرافات اليونان ان اورفيوس كان يُخضع باغانيهِ وحوش الصحراء ويستوقف امواج البحر عن حركتها ويرقص الاشجار والصخور طرباً . وذكر في اساطير المصريين القديمة ان امفيون بنى اسوار ثيبس بصوت عودهِ فكان حينما يضرب على العود تتحرك الحجارة من انفسها وينتضد بعضها فوق بعض . وفي الاساطير الهندية انهُ كان عند الهنود أغنيةٌ كل من غناها يحترق فاراد الملك ان يمتحن ذلك فامر احد الموسيقيين ان يغنيها وهو منغمس في مياه النهر الى ذقنهِ ففعل ولكن ذلك لم يغنِ عنهُ شيئاً فالتهمتهُ النار وهو في النهر

وفي التاريخ من مثل هذه الخرافات شيء كثيرٌ وكلهُ يدل على ان القدماء كانوا يرون ان للموسيقى تأثيراً لا يشبهها فيهِ شيء من سائر المؤثرات الخارجية على ان لبعض حذاق الموسيقيين مهارة غريبة في تأثيرهم على الحضور فقد ذكر ان ابا النصر الفارابي قدم بقانونهِ على سيف الدولة وكان مجلسهُ حافلاً فضرب عليهِ فاضحك الحضور ثم ضرب فابكاهم ثم ضرب فانامهم وتركهم نياماً وانسل من المجلس ولم يشعر بهِ احد . ومثل ذلك كان يفعل زلزل الاعرابي الذي اشتهر بالعزف على العود حتى ضُرب بهِ المثل فقيل اطرب من عود زلزل . والذي يسمع مشاهير المغنين وأئمتهم في هذا القطر لا يستغرب مثل هذه الروايات لما يأتونهُ من الالحان الشجية التي تأخذ بمجامع القلوب وتستعبد الالباب

وليس تأثير الموسيقى مقصوراً على الانسان فقط بل يتناول بعض الحيوانات فقد اشتهر ان النياق تسترسل في سيرها على الحدآء وثبت ان الحيات تكثر حيث يكثر الغناء او العزف لانهُ يلذ لها سماع الموسيقى ٠ وقد ذكر لي صديق من متخرجي احدى المدارس الكلية في بيروت انهُ وبعض رصفائهِ عثروا على حية صغيرة فقبضوا عليها وارادوا ان يمتحنوا هذا الامر فجاءوا بها الى فسحة واسعة واطلقوها وكان احدهم يلعب على كمنجتهِ فتقف واذا توقف عن اللعب تسير وقد امتحنوا ذلك مراراً وهم بعيدون عنها فصح امتحانهم

وقد ورد في احدى جرائد بيروت ما محصلهُ ان قسيساً يقال لهُ داويس كان مرةً مقيماً في بياز مادزبورك وكان لهُ ولدٌ صغير في سن الرابعة فدنا الولد من اسدٍ مسلسلٍ لبعض الجيران وكان من اشرس السباع الى ان صار عند براثنهِ فخفقت لذلك قلوب الناظرين ولم يكن من يجترئ على انقاذهِ ورأت ذلك فتاة يقال لها مس مولند كانت في غرفة مشرفة على موضع الاسد فاسرعت واخذت توقع على آلةٍ موسيقية اللحن المعروف « بملك الآجام » فسرّ الاسد سروراً ذهل بهِ عن فريستهِ والتفت الى جهة الصوت مصغياً فذهب الولد مطمئناً كأن لم يكن ما يخشاهُ ولكنهُ لما بلغ البيت وسمع البكاء وشاهد الاضطراب صرخ وبكى

وأغرب من ذلك ما قرأتهُ في تلك الجريدة عينها بقلم من اختبر الامر بنفسهِ قال بعنوان « شجرة العاشق » سمعت كثيراً عن هذه الشجرة انهُ اذا وقف المرء عليها وكان صوتهُ حسناً وانشد بنغم الاصفهان يتناثر زهرها

قال وقد زارني يوماً في حمص احد اخواننا فقصدت واياهُ التنزه في بستان لي بظاهر البلدة فعند دخولنا وجدت ولدي وابن اخي وصاحباً لهما حسن الصوت مجتمعين حول شجرة طولها نحو متر ذات جذوع وورقها كورق الحناء وزهرها اصفر بحجم زهر الفل وهي من النباتات الطبيعية . فسألتهم عن سبب اجتماعهم فاعلموني انها « شجرة العاشق » المشار اليها فوقفنا وسألنا الغلام ان ينشد بعد ان هززت الشجرة فلم يسقط منها زهرة فلم ينشد الغلام حتى اخذ الزهر يلوي ويسقط فتركنا هذه وتتبعنا خمساً اخرى من نوعها فوجدناهنَّ مثل الاولى . اه

فاذا كانت الموسيقى تفعل هذا الفعل في الاشجار والسباع فلا بدع ان تفعل غرائب وعجائب في الانسان وهو ارقى المخلوقات وارق الحيوانات شعوراً　　(ستأتي البقية)

مطارحات

مسئلة رياضية – جآء في نفح الطيب في الكلام عن صاعد بن الحسين البغدادي اللغوي وكان قد رحل الى الاندلس واتصل بالمنصور العامري أن صاعداً حدَّث عن نفسهِ قال جمعت خِرَق الاكياس والصرر التي قبضت فيها صِلات المنصور فقطعت لكافور الاسود غلامي منها قميصاً كالمرقَّعة وبكرت بهِ معي الى قصر المنصور . فاحتلتُ في تنشيطهِ حتى طابت نفسهُ ثم قلت يا مولانا لعبدك حاجة فقال اذكرها قلت وصول غلامي كافور الى

هنا . فقال أوَعلى هذه الحال فقلت لا اقنع الا بحضوره بين يديك . فقال ادخلوهُ فمثل قائماً بين يديه في مرقّعته وهو كالنخلة إشرافاً . فقال قد حضر وانهُ لباذُّ الهيئة فماذا اصنعهُ . فقلت يامولانا هنالك الفائدة اعلم يا مولاي انك وهبت لي الى اليوم ملء جلد كافور مالاً . فتهلل وقال لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معاني الشكر وامر لي بمال واسع وكسوةٍ وكسا كافوراً احسن كسوة . اه

وهذه القصة على ظرافتها لا تخلو من سبق وهم قد جاز على الشاعر وعلى الممدوح لان خرق الاكياس التي وسعت جلد كافور لو أُخذ بحجم كافور مال ورُدّت تلك الخرق اكياساً وصُرَراً لم تسع المال ولا نصفهُ ولا ثلثهُ . ولنفرض ان طول كافور من كتفيه الى قدميه ١٦٠ سنتيمتراً وعرضهُ ٤٠ سنتيمتراً ولنفرض ان الكيس من هذه الاكياس كان ذا اقطار متساوية من ١٠ سنتيمترات فكم كيساً كان هناك وكم كانت جملة موسوع الاكياس وبالتالي كم مرةً كان ينبغي ان تضاعف حتى يكون موسوعها اكياساً بقدر موسوعها قيصاً

نرجو من اخواننا الرياضيين الجواب على هذه المسئلة والجائزة اشتراك الضياء مجاناً على سنة كاملة

قيل لابن المقفَّع من أدّبك فقال نفسي اذا رأيت من غيري حسناً اتيتهُ وان رأيت قبيحاً أبيتهُ

مُتَفَرِّقَات

سكر الفراش ـ ذكر البروفسورتوت في جملة كلام القاهُ في جمعية الهوام والتاريخ الطبيعي ان الفراش من اشدّ المخلوقات انهماكاً في السكر قال انهُ ادخل الى حديقةٍ لهُ مغشاةٍ بالزجاج اربعاً وعشرين فراشة نصفها ذكران والنصف الآخر اناث واقام يراقب طبائعها فوجد ان الذكران منها كانت شديدة التهالك على معاقرة المسكر لانها كانت تختلف الى اكثر الازهار مادةً كحلية فتترشف منها حتى تروى من عصارتها ويغلب عليها السكر حتى تبقى احياناً مدة عشر ساعات ملقاة كالميتة . واما الاناث فكانت على عكس ذلك خلافاً للحال المعهودة في انكلترا ... فانها لم تكن تشرب الا الماء الصرف من الندى المتجمع في الصباح

ثم انهُ لم يكتفِ بما رأى من ميل تلك الفراش الى الزهر الذي تُفرز عنهُ المادة المسكرة فخطر لهُ ان يمتحن ميلها بالشراب نفسهِ فسكب بعض قطرات من الوسكي على بلاط الموضع فلم تلبث الفراش ان تهافتت على الوسكي ثم تساقط اكثرها سكارى وكانت فراشاتٌ منها في الخارج فاجتذبها ريح كأسٍ من عرَق الفواكه كانت منسية على مائدة من موائد الحديقة فشربنَ منها شرباً مفرطاً ثم استغرقنَ في نوم ٍ عميق

براميل من الورق ـ ورد الى دُنكرك شحن مركبٍ كامل من

البترول كلهُ في براميل من الورق المضغوط مطوقاً بالحديد. ولهذه البراميل مزيةٌ على البراميل الخشبية بان تلك نتركب من اضلاع يُضَمّ بعضها الى بعض فلا بد ان يبقى بينها شيءٌ من الخصاص يسرب منهُ السائل فيذهب جانبٌ منهُ سدًى . ويقال ان قد خصص حديثاً ثلاثة معامل لهذه الصنعة في هَرتفُرد وكلافلند وتولادو وان هذه المعامل يكون جملة مصنوعها كل يوم ٣٠٠٠ برميل

استخدام البترول في الوَقود ـ ما زال الناس منذ عدة سنين يحاولون استخدام البترول في مكان الفحم المعدني وقد امتحنت حكومة الروسية لذلك عدة اجهزة في سكة حديد القوقاس فلم يستقم لها الا في سنة ١٨٨٠ ومذ ذاك عم استعماله في السكة المذكورة ويُنفَق منهُ فيها اليوم ما يزيد على ٦٠٠٠٠٠ وسق في السنة . وقد حسب مهندسو هذه المصلحة ان المئة كيلغراماً من البترول تعادل ١٤٢ كيلغراماً مِن الكوك و ١٣٩ من الفحم الانكليزي

وقد توصلوا اليوم الى ان يصنعوا منهُ لَبِناً جامداً على نحو ما يُصنَع من دُقاق الفحم المعدني مع القطران . وذلك بان يُضاف الى اللتر من البترول ١٥٠ غراماً من مسحوق الصابون مع ١٠ للمئة من الراتينج و ٣٥٠ غراماً من الصودا الكاوية ويسخَّن المزيج بعد قطعهِ عن الهوآء حتى يصير في قوام العجين . وحينئذٍ يضاف اليهِ ٢٠ للمئة من نشارة الخشب ومثلها من الرمل وبعد ان تمزج بهِ جيدًا حتى يصير الكل قواماً واحدًا يُفرَغ في

القوالب ويُترَك حتى يبرد فيكون لَبناً صلباً . والغرض من ادخال الرمل في هذا التركيب ان يكون اللَبِن اصبر على النار فلا يكون سريع الانصياع . وقد حسبوا ان الكيلغرام منهُ يعدل ٤ كيلغرامات من الفحم المعدني وعند الايقاد يمكن ان يوضع على شباك الموقد المستعمل عادةً في لبِن الفحم

فوائد

تغذية البقر الحلوبة — نلخص ما يأتي عن فصل ورد في بعض المجلات الفرنسوية لاحد ذوي الخبرة في هذا الشأن قال

لتكثير لبن البقر يجب اولاً ان تعلف البقرة الحلوبة الى اقصى غايات الشبع ولذلك يحسن ان يجوَّد غذآؤها ويجعل لهـا فيهِ كل ما تميل اليهِ طبعاً حتى تقوى شهوتها لطلبهِ وتزيد مقدار ما تتناول منهُ . ومما يفيد في ذلك ان يُطرح في علفها مقدار قليل من الملح لكن بحيث لا يزيد عن ٤٥ غراماً في اليوم لبقرة متوسطة الوزن الى ٥٠٠ كيلغرام او من المآء المحلَّى بفضلات السكر الباقية بعد تصفيتهِ فان ذلك يعينها على سرعة الهضم ويفيد في كثرة درور اللبن

ثانياً ان يكون علفها كثير المآء لان اللبن يتضمن عادةً نحو ٨٧،٥ في المئة من المآء فبزيادتهِ تزداد كمية اللبن على هذه النسبة وللمآء فائدةٌ اخرى وهي انهُ يسهّل انحلال دقائق الموادّ الغذآئية ولا سيما اذا أُعطي لها فاترًا

ثم ان الكلأ الذي هو الغذآء الطبيعي للبقر يتضمن ٨٠ في المئة من

المآء فينبغي ان يُجعل سائر علفها على ما يقرب من هذه النسبة ولذلك يُحمد في علائها البنجر والجزر ويحسن ان يضاف اليهما شيء من المواد النشآئية كالبطاطس والنخالة وغيرهما يطبخ في المآء ويقدّم لها وهو فاتر لانهُ قد وُجد بالاختبار ان حرارة المشروب الذي تتناولهُ كافية وحدها لأن تزيد في مقدار الدِرّة وقد حُسب ان مقدار الزيادة يكون نحو كيلغرام ونصف لكل بقرة في اليوم . ولا ينبغي ان يهيأ لها هذا المشروب الا عند ارادة اعطآئهِ لها او قبل ذلك بقليل لئلا يختمر اذا مضى عليهِ وقتٌ طويل فيكون مضرًّا

ولا بد في اعطآئها العلف من اجتناب انواع البقول التي تغير طم اللبن او رائحتهُ او لونهُ كالملفوف واللفت والفجل وسائر هذه الطائفة فانها تغير طعمهُ وكثفل البنجر والشعير فانهما يهيئانهِ لسرعة الحموضة وكذلك كل غذآء قد دبَّ فيهِ الاختمار حتى حمض واما ما لم يختمر الا الاختمار الكحليّ فلا بأس منهُ

واذا أُريد تحويل البقر عن نوع من العلف الى غيرهِ فلا يجوز ان يكون ذلك فجأةً وبمرّةٍ واحدة ولكن لا بد ان يكون بالتدريج حتى تألف الغذآء الجديد قبل ان تُقطع عن القديم

تنظيف الاسفنج ــ افضل ما يستعمل لذلك ان يغمس الاسفنج في مآء قد حُلَّ فيهِ شيء من ملح الطعام يُنقَع فيهِ بضع ساعات ثم يرفع منهُ ويغسل . وهو افضل من محلول البوتاس الذي يستعمل عادةً فانهُ لا يخلو

من تأثير على نسيج الاسفنج يفسد بنيتهُ ويرخي قوامهُ حتى يصير اشبه شيء بنسيج الغشآء المخاطي

آثار ادبيّة

اقرب سبب لتعليم الاطفال كلام العرب ـ هو اسم مؤلف صغير عني بوضعهِ حضرة الاستاذ احمد افندي سعيد البغدادي مدرّس العلوم العربية في مدرسة الاتحاد الاسرائيلي بمصر . وقد جرى فيه على طريقة مستحدثة التزم فيها ان يعلّم الصغير مقاطع الحروف قبل اسمآئها ويتهجأ الكلمات كذلك وقد ظهر لهُ بالامتحان ان ذلك اسهل على المبتدئ واسرع في تعليمهِ من الطريقة المتعارَفة فنثني على المؤلف ثنآء جميلاً ونرجو لطريقتهِ هذه الثبات والانتشار

كتاب الدروس الحسابية لتلامذة المدارس الابتدآئية ـ اهديت لنا نسخةٌ من هذا الكتاب لحضرة مؤلفيهِ الاديبين محمد افندي طاهر وميخائيل افندي عفت من مدرسي الرياضيات في المدارس الوطنية وهو « مقرر السنة الرابعة » في تلك المدارس وفاقاً لترتيب نظارة المعارف في مدارسها وقد اودعاهُ كثيرًا من الفوائد والتمرينات مع حل كثيرٍ من المسائل المشكلة مما استحقا بهِ طيب الثنآء على هذه الطرفة السنية فنحض الطالبين على مقتناهُ ونرجو لهُ مزيد الرواج والنفع

فكاهات

رواية

كشف المعمى (١)

لا ريب ان قرآء الروايات يزداد ارتياحهم اليها ورغبتهم في مطالعتها اذا عرفوا ان جميع حوادثها واقعية ولذلك آثرنا تعريب هذه الرواية لانها من الوقائع العصرية المهمة وهي من وضع هربرت دي لرناك الذي حكم عليهِ بالموت ني مرسيليا وهو احد الذين لهم دخلٌ في قضية دريفوس المشهورة وقد كتبها قبل موتهِ وكشف فيها اللثام عن كثير من الوقائع والفظائع فهي ولا شك مما يتطالّ اليهِ كل من اتصل بهِ شيءٌ من القضية المذكورة وقد وُطئ لها بمقدّمةٍ تاريخية تتم بها سلسلة وقائعها الغريبة ونحن نعرّبها كما وجدناها والعهدة فيها على الراوي قال

لما كان اليوم الثالث من شهر يونيو سنة ١٨٩٠ دخل رجلٌ الى محطة السكة الحديدية بليوربول يقال لهُ لويس كرتال وطلب مواجهة مدير المحطة وهو رجلٌ كهلٌ قصير القامة اسمر اللون في ظهرهِ انحنآءٌ وبصحبتهِ فتىً مقتبل الشبيبة طويل القامة تلوح عليهِ علآئم الرزانة والتحرُّز والسكينة وكان ملازماً للويس ملازمة ظلهِ مما يدلّ على انهُ كاتم سرّهِ وحارسهُ . ولم يُعرَف اسم الفتى ولا جنسهُ لكن يُستدَلّ من منظرهِ انهُ اسبانيولي او من

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نجيب افندي المشعلاني

اهل جنوبي اميركا وكان في يدهِ محفظة من الجلد الاسود كان شديد الحرص عليها والاحتفاظ بها . ولما حضر المدير سأَلهُ لويس عن قطارٍ يقلهُ وكاتم اسرارهِ الى لندن فقال لهُ المدير قد سافر القطار منذ ساعة ولا يسافر القطار الثاني قبل الساعة السادسة . فقال لويس لكن لي اشغالاً مهمة تقتضي وصولي في اسرع ما يمكن الى باريز فاذا كان في الامكان ان تجهز لي قطاراً مخصوصاً فاني لا اتأخر عن اداء نفقتهِ بالغةً ما بلغت . ولما الحّ عليهِ دخل المدير وفاوض الادارة العامة بالبرق ثم خرج وقال لهُ سنجيبك الى ما اردت فانتظر ربع ساعة لتجهيز القطار . فشكرهُ على ذلك ثم خرج هو وصاحبهُ الى محلّ الانتظار

وحال خروجهما دخل رجلٌ آخر على المدير وسأَلهُ تجهيز قطار مخصوص يسافر بهِ الى لندن لان زوجتهُ على فراش الموت وبذل للمدير ما شاء بشرط ان يسافر في الحال . فتأسف المدير لتعذُّر اجابتهِ الى ما طلب اذ لا يمكن ان يسيَّر زيادة على قطار واحد مخصوص في اليوم . ثم انهُ بعد ان تفكر قليلاً قال لهُ ان غريباً قد استأجر الساعة قطاراً مخصوصاً فسأَلهُ لك فان شاء ركبت معهُ في القطار وتقاسمتما الاجرة . فبرقت اسرّة الرجل وجلس ينتظر وبعد هنيهةٍ عاد المدير فقال لهُ ان المسيو كرتال استأجر القطار لنفسهِ ولا يحب ان يصحبهُ احد . فخرج الرجل وعلى وجههِ أمارات الغيظ والقنوط ثم توغل بين الحضور فاخفاهُ جمعهم المتكاثف

ولما تمّ اعداد القطار ركبهُ المسيو كرتال وكاتم اسرارهِ والقائد والمحافظ فانطلق بهم بسرعة النيازك مخلفاً وراءهُ خطاً اسود من الدخان لم

يلبث ان تلاشى في الهوآء وامعن القطار في مسيرهِ فتوارى عن الابصار

وكان قيام القطار المذكور من ليوربول في منتصف الساعة الخامسة وينتظر وصولهُ الى منشستر قبل تمام الساعة السادسة فلما بلغت الساعة السادسة ولم يصل الى منشستر اضطربت افكار مدير محطتها واوسل بالبرق الى ليوربول يعلمهم ان القطار لم يصل فنهض المدير بنفسهِ الى الآلة البرقية وقد راعهُ هذا الخبر واوجس منهُ عاقبة مخيفة فخاطب محطة القديسة هيلانة وهي على ثلث الطريق فورد عليهِ الجواب منها ان القطار قد مرّ بها بقرب الساعة الخامسة • وبعد نصف ساعة وردت رسالة اخرى من منشستر تفيد ان القطار لم يصل بعد ثم في الساعة السابعة أُردفت برسالة اخرى تقول ان القطار العاديّ الذي قام من القديسة هيلانة بعد القطار المخصوص قد وصل ولم يقف في طريقهِ على اثرٍ لذلك

وما بلغ هذا الخبر مسامع المدير العامّ حتى قامت عيناهُ وقفَ شعرهُ واسرع الى الآلة البرقية فسأل المحطات واحدة واحدة ان تنبئهُ عن مرور القطار الخصوصي بها ليعرف اين فُقد فعلم منها انهُ مرّ بالمحطة الاولى والثانية والثالثة والرابعة ولكنهُ لم يصل الى المحطة الخامسة قطارٌ مخصوص ولم يُسمَع عنهُ شيء . فجمد الدم في عروق المدير ولبث شاخصاً الى الآلة لا يبدي حراكاً وفيما هو كذلك دخل عليهِ المفتش واخذا يتذاكران ما عسى ان يفعلا ثم ارسلا الى الموقف الرابع والخامس ان يفحصا الخط بينهما فاتاهما الجواب ان لا اثر للقطار وليس على الخط ولا بجانبهِ ما يدلّ على حدوث حادث او مرور قطار

فنتف المدير شعرهُ وصاح يالله ايختفي قطارٌ حديدي في منتصف النهار في وسط انكلترا ولا يظهر لهُ اثر . اتحوّل الى بخار واضمحلّ في الجوّ ام استحال الى ذرّات غبار وتبدّد في الارض . وللحال ركب هو والمفتش العامّ ليفحصا الامر بانفسهما وقد جهزا لهما قطاراً مخصوصاً وانطلقا ينهبان الارض الى ان بلغا المحطة الخامسة وهي التي لم يصل اليها القطار المفقود فترجلا واخذا يفحصان الخطّ بمزيد الدقة والانتباه وبعد مرورهما اولاً وثانياً لم يجدا شيئاً سوى جثة ميت مهشم الاعضآء عرفا انها جثة قائد القطار المفقود ولم يريا غير ذلك ولا تبينا ان القطار قد زاغ عن الخط او سقط عنهُ . فازدادت حيرة المدير وقلقهُ واخذ يمعن في البحث والاستقصآء وكان للخط المذكور ثلاثة فروع لا غير احدها يصل الى معمل حديدي في تلك الناحية والثاني يصل الى منجم فحم والثالث الى منجم آخر مهجور منذ سنين . فتتبع الخط الاول الى ان بلغ المعمل وعاد منهُ ولم يظهر لهُ شيء ثم الخط الثاني الى المنجم ودقق البحث بين العملة هناك ورجع بلا طائل واما الخط الثالث فلانهُ كان مهملاً كانت قد رُفعت منهُ القضبان الحديدية التي تصلهُ بالخط الاصلي على مسافة عدة يردات بحيث كان يستحيل انعطاف القطار اليهِ . ومع ذلك فانهُ تتبعهُ الى ان وصل الى المنجم المهجور وكانت قد رُدِمت فوّهتهُ باخشابٍ وتراب ونبت عليها العشب فعاد وقد ضاقت الدنيا في وجههِ فانطرح في قطارهِ وعاد الى ليوربول ووكل الامر الى حذق الشحنة الانكليزية واجتهادها وشاع هذا الخبر في الجرائد والاندية فلم يبقَ الا من تحدث بهِ وتعجب لهذا الحادث الغريب

وفي ذلك الوقت قامت قيامة الوزارة الفرنسوية في باريز بما اشتهر من امرها في تلك السنة وارتبكت حكومتها بمشاكل ومعضلات مالية ودولية وقفت فرنسا منها على شفا السقوط والانغماس في حمأة الذل والعار واتجهت ابصار اوربا باسرها الى حالة فرنسا في ذلك الحين فلم تكن حادثة القطار مع فظاعتها وغرابتها لتشغل افكار القوم عن مراقبة احوال الجمهورية المذكورة حتى تنوسيت هذه الحادثة بعد حين وتحوّل مجرى الافكار الى الوزارة الفرنسوية التي كانت يومئذٍ كريشةٍ في مهبّ الريح

واستمرت فرنسا غائصةً في مشاكلها ودعاوي وزرآئها منذ سنة ١٨٩٠ الى ان اشتهرت قضية دريفوس من عهدٍ قريب وتشيع لهُ هربرت دي لرناك فحوكم في مرسيليا وقضي عليهِ بالقتل وقبل انفاذ الحكم فيهِ نشر هذه الرواية فجآءت حلاً لسرّ اختفآء القطار منذ ثماني سنوات وكشفاً عن بعض الامور التي التطخ بها شرف فرنسا بدنآءة بعض ممثلي حكومتها

قال دي لرناك كنت في سنة ١٨٨٩ في عداد الشرطة الفرنسوية وكنت ممن امتازوا بالحذق والدُربة حتى كانت الحكومة تكل اليّ كبار المعضلات فلا ألبث ان احلّها في اسرع وقت على احسن وجه . وفي السنة نفسها استدعاني اليهِ الكُنت ... واخذ عليّ آكد الاقسام ان لا ابوح بما ينوي ان يُفضي بهِ اليّ من الاسرار ولما عاهدتهُ على ذلك قال انهُ بالاشتراك مع البارون ... والجنرال ... قد عزموا على ان يزيدوا ثروتهم بالاستيلآء على شيءٍ من اموال الحكومة يستعينون بهِ في المستقبل اذا اقالتهم الحكومة من مناصبهم . ثم افاض دي لرناك في شرح ما كان من

تمام هذه القصة فذكر ان هؤلآء الثلاثة بما كان لهم من الاستيلآء على ازمة المملكة الفرنسوية كانوا قد اختاروا لهم تاجراً يهودياً اسمهُ لويس كرتال فاطلعوهُ على اسرارهم وارسلوهُ عميلاً لهم الى جنوبي اميركا ثم جعلوا يرسلون اليهِ اوراقاً من حكومتهم والقاباً ورتباً وغير ذلك وهو يتاجر بها هناك حتى اجتمع لديهِ في زمنٍ قصير مبلغ طائل من المال وكانت المراسلات متواصلة بين كرتال وهؤلآء الوزرآء باسمآء مستعارة ولما صار المجتمع لديهِ نحواً من ثلاثة ملايين فرنك كتبوا اليهِ ان يرسل المبلغ في الحال وينتظر اوامرهم فارسل تلك الملايين بموجب حوالاتٍ وأقام ينتظر . اما شركآؤهُ فبعد ان وصل المال اليهم تقاسموهُ بينهم ولم يعد يهمهم السؤال عنهُ وبقي منتظراً في مكانهِ الى ان طال امد الانتظار وكاتبهم مراراً فلم يجيبوهُ ولما تحقق غدرهم عزم على ان يعود الى فرنسا ويذيع ذلك السرّ انتقاماً منهم ليحرمهم التنعم بتلك الاموال التي جمعها بكدّهِ . ولما شعر اولئك الثلاثة بقصدهِ صمموا على ان يهلكوهُ ولا يدعوهُ يصل الى فرنسا ولهذا السبب استدعوا هربرت دي لرناك واطلعوهُ على سريرة الامر ووعدوهُ بما شآء من المال اذا توصل الى اهلاك كرتال على وجهٍ لا يشعر بهِ احدٌ بحيث يبقى الامر مكتوماً. وللحال اخذ دي لرناك يتأهب لتنفيذ مأربهم فوجّه من قبلهِ أُناساً الى اميركا يترصدون كرتال ويهلكونهُ في الطريق فوصلوا اليهِ وتتبعوا حركاتهِ وعرفوا كل ما كان ينوي ان يفعلهُ وكانوا يبعثون بكل ذلك الى دي لرناك بالبرق الاّ انهم لم يتمكنوا من اهلاكهِ . ولما ركب البحر من نيويرك ارسلوا يعلمون دي لرناك فارسل مركباً يلاقيهِ في الطريق فلم يوفق الى مصادفتهِ لما اعترضهُ

من حوادث البحر. وكانت الاخبار تصل الى دي لرناك كل يوم وهو يدبّر الوسائل وينصب الاشراك وقد شحذ همتهُ وقريحتهُ واخذ على كرتال جميع الطرق التي قدَّر انهُ سيسلكها من البحر والبرّ فلم يدع مسلكاً الاّ ارصد لهُ فيهِ فخاً بحيث انهُ اذا نجا من الواحد لم ينجُ من الآخر. ثم توجه لانتظاره في ليوربول لعلمهِ انها الطريق الوحيد الذي يعود منهُ فاعدّ كل ما ينبغي من وسائل الاغتيال وصبر الى ان وصل كرتال وكاتم اسرارهِ فلما رآهما سرّ واستبشر وايقن ببلوغ المرام وجعل دأبهُ ترصُّدهُ حيثما توجه لا يفارقهُ طرفة عين وهو يتلون بهيئاتٍ شتى حتى لا تتنبه لهُ الابصار الى ان ذهب كرتال الى المحطة واستأجر القطار المخصوص فصمم دي لرناك على ان يرافقهُ في سفرهِ وتقدّم الى المدير وطلب قطاراً آخر وهو يعلم ان الشركة لا يمكن ان تجيبهُ الى طلبهِ ولكنها ربما سمحت لهُ ان يسافر في نفس قطار كرتال. فلما رفض كرتال قبولهُ انصرف بهيئة الآنس فما عتم ان بدَّل هيئتهُ وصعد الى القطار من ناحية اخرى فاختفى فيهِ. ولما أزفت الساعة المعينة وسار القطار كان اول شيء صنعهُ دي لرناك انهُ قطع لسان المحافظ بقبصةٍ من الدنانير ليخفي امرهُ ولا يعترضهُ في سفرهِ وكان من جملة الاشراك التي اعدّها ان ارسل من قبلهِ جماعةً ينتظرونهُ بقرب المحطة الخامسة حتى اذا دنت ساعة مرور القطار من هناك اسرعوا فوصلوا الخط الاصلي بالفرع الثالث المذكور آنفاً المؤدي الى المنجم المهجور وكانوا قد كشفوا فُوّهتهُ حتى يعرّج القطار اليهِ ويهبط فيهِ. وكان دي لرناك مستعداً لتلك الساعة فلما دنوا من الموضع وثب الى موقف القائد فقتلهُ وطرحهُ الى الارض واخذ القيادة عنهُ ولما

وصل الى الفرع المذكور ورأى القطار قد عرّج اليهِ تأهب للوثوب ثم ترك البخار على معظم قوّتهِ ووثب الى الارض في خفة الطير فسار القطار كالبرق الي الجحيم المُدّ لابتلاعهِ . ولاحظ كرتال حركةً انكرها فاطلّ من كوّة القطار فظهر لهُ ان في الامر دسيسةً عظيمة ولما لم يمكنهُ الخلاص مع رفيقهِ وايقن بالهلكة رمى بالمحفظة الجلدية وكان قد جعل فيها الاوراق التي كان معولاً عليها للانتقام من شركائهِ الوزرآء واذ ذاك وصل القطار الى هوّة المنجم فسقط فيها وسُمع لهُ دويٌّ عظيمٌ وانفجارٌ هائل . واسرع دي لرناك فردّ الاخشاب والتراب كما كانت والتقط المحفظة ثم عاد فقصل الخطّ برفع القضبان الحديدية التي كان قد وُصل بها وهكذا خفيت هذه الحادثة تمام الخفآء ولم يدرِ بها احدٌ سوى المشتغلين بها

وقد مضى على هذه الواقعة ثماني سنين وهي مستورة تحت طي الكتمان الى ان وصلنا الى السنة الحاضرة ونشأت قضية دريفوس وحُكم على هربرت دي لرناك بالموت فكتب هذه الرواية وايدها بالبراهين والشواهد وذيلها بما يأتي قال

والآن اعترف بانني لما سلّمت اوراق كرتال الى حضرات الوزرآء اخفيت منها اثنتين هما اعظمها اهميةً وانا قادرٌ ان اقوّض بهما اركان الوزارة الفرنسوية اذا لم تبادر لانقاذي في الحال . وهذه روايتي ازفها الى حضرات الكنت ... والجنرال ... والبارون ... تذكرةً لهم وتنبيهاً وان دعت الحال اعدت نشرها مصرّحاً فيها بذكر الاسمآء من غير توريةٍ ولا اخفآء